العلم، فيحفظون ألفاظ النصوص الشرعية وآثار الصحابة والأسانيد وأحوال الرواة وتاريخ وفيات الأعيان ولغة العرب وشواهدها ونحوها من المعلومات، واستمر منهج الحفظ في الأمة قروناً طويلة، حتى شاع مصطلح الحافظ بين العلماء لكثرة ما كان يحفظ.

والحفظ من جهة نفس المحفوظ نوعان، حفظ ألفاظٍ وتراكيب: وهو حفظ التكرار، وحفظ معانٍ: وهو حفظ الأذكياء أو حفظ المعرفة، وهو الغالب على الفقهاء، والنوع الثاني مشابهٌ لما وَصف به الحافظ السخاوي شيخَه ابنَ حجر العسقلاني قائلا: «كان رحمه الله رُزق في صغره سرعة الحفظ بحيث يحفظ كل يوم نصف حزب، وبلغ من أمره في ذلك أنه حفظ سورة مريم في يومٍ واحد، وأنَّه كان في أكثر الأيام يُصحِّحُ الصفحة من الحاوي الصغير ثم يقرأها تأملاً مرة أخرى، ثم يعرضها في الثالثة حفظًا، ولم يكن حِفظُه الدرس على طريقة الأطفال، بل كان حِفْظُهُ تأملاً على طريقة الأذكياء في ذلك غالبًا»[1].

وللحفظ نوعٌ ثالثٌ أضيفه من عندي، وهو حفظ الأغبياء، وهو من لا يحفظ شيئاً ولا يريد لغيره أن يحفظ، ويزعم أنَّه مشتغل بالفهم والتدبر، ويزداد صفاقةً إذا بدأ يستدل بالقرآن على أن الحفظ غير مطلوب شرعاً والمطلوب هو التدبر فقط... فيظنُّ أنَّه فَهَّامة عصره، والحقيقة أنه مصيبة أهلِه!!، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

نحن في حلقات التحفيظ من عشرين سنة وزيادة والحمد لله، ولم نسمع يوماً مُعلماً يقول لنا: أوصيك أن تحفظ ولا تفهم!، بل كلُّ من يقول لنا: احفظ يقول لنا: افهم، ولكن المصيبة في من يقول: افهم ولا تحفظ!، وختاماً: أسأل الله أن يوسع لكم في أوقاتكم وأقواتكم.

(1) الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر (124/1).